

جائزة الألوكة

مُسابقة انصر نبيّك.. وكُن داعيًا

مجموعة المقالات الفائزة



- رســـول الســـلام
- بعض ما قدمته رسالة النبي للمرأة
- دور النبي محمد في تحضر العرب
- بــل كــان نـبـيّـاً رسـولاً







جائزة الألوكة

مسابقة انصر نبيك.. وكن داعيا

مجموعة المقالات الفائزة

- رســـــول الســـــلام
- بعض ما قدمته رسالة النبي للمرأة
- دور النبي محمد في تحضر العرب
- بـــل كـــان نـبـيـّـاً رســـولاً









مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء مابينهما، والصلاة والسلام على إمام الحقِّ والهدى، سيِّدنا محمد معلِّم الناس الخير، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن **موقع الألوكة** أخذ على عاتقه منذ تأسيسه أن يكون رسالةَ حقٍّ سامية إلى أبناء الإسلام في كلِّ مكان، يقدِّم لهم العلمَ النافع، والنصحَ الصادق، ويشيد لهم الصُّوى والعلامات الهاديةَ إلى صراط ربهم القويم.

ولما كان العلم بالكتاب والسنة وهدي النبيِّ الكريم ﷺ خيرَ ما يقود البشرية إلى جادَّة الصواب، وإلى طريق النصر والتمكين، رأينا تحفيز أبناء الإسلام عمومًا وطلاب العلم والباحثين خصوصًا، إلىٰ القراءة والمطالعة، والبحث والكتابة، بمسابقات تُجرى بين حين وآخرَ تتناول موضوعات تهمُّ المسلمين اليوم، وتوضح لهم الطريق، وتكشف عن عيونهم حجب الظلام.

وكان من سوالف الأقضية -في مرحلة إنشاء الموقع وإعداده- أن ينشرَ رسامٌ دانماركيٌّ رسومًا (كاريكاتورية) ساخرة من نبيِّ الهدى عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم! ونتج عن هذا الفعل الأحمق ردودُ أفعال كثيرة ومتباينة من أبناء الإسلام في أقطار الأرض كافَّة، استنكارًا ورفضًا لهذه

الإساءة القبيحة.. ورأينا أن خير ردٍّ على هذه الإساءة هو استثمارُ عواطف المسلمين الصادقة في بيان شمائل نبيِّهم ﷺ وخصاله الكريمة ورحمته الفريدة.. وتقديمُ صورة صحيحة عنها إلى الغرب، إذ لربما لو عرف هذا الرسامُ وغيره من الغربيِّين الشانئين والحاقدين على الإسلام ونبيِّه، لو عرفوا السيرةَ الصحيحة لنبيِّ المسلمين وحقيقةَ دعوته لوقفوا منه موقفَ التقدير والتبجيل على غِرار مواقف كثيرينَ من أبناء جلدتهم المنصفين.

وقد رأينا اهتبالَ هذه الفرصة لحثِّ الكتَّاب والأدباء والمفكرين على تسخير مَلَكاتهم ومواهبهم في نصرة نبيِّهم ﷺ والذبِّ عن عرضه الشريف بكتابة بحوث ومقالات وقصص.. فكانت مسابقة الموقع الأولى بعنوان: (**انصر نبيَّك وكن داعيًا**)، ولقيت بتوفيق الله اهتمامًا كبيرًا من الإخوة والأخوات، فاق توقعاتنا، وأثمرت مشاركات متميِّزة مفيدة، ولله الحمد والمنَّة. وكان إعلان نتائج المسابقة في غُرَّة شعبان سنة ١٤٢٧هـ.

وتعميمًا للفائدة، ونشرًا للعلم النافع، ننشُر هذه المقالات والمشاركات الفائزة، راجين أن يكتب الله لها القَبول بفضله وأن ينفعَ بها المسلمين وغير المسلمين في كلِّ مكان.. والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

المشرفان

د. سعد بن عبدالله الحميِّد　　**د. خالد بن عبدالرحمن الجُرَيسي**



جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

رســـول الســلام

المشاركة الفائزة بالجائزة الأولى بفرع المقالة

بقلم

محمود توفيق حسين





قد يقول البعض: في هذه الأجواء التي تعيشها البشرية وتكابدها، وفي ظل الأزمات الأخلاقية الكثيرة، من تنافسٍ وأحقادٍ وحروبٍ ورغبةٍ محمومةٍ في النمو بلا حدود.. ألا يحتاج الناسُ إلى رسالة سماوية جديدة؛ تواكب هذا التعقُّد في نمط الحياة، الذي لا يشبه الحياةَ التي عاصرها الرسل؟!

والرد على هذا المنطق والاستفسار يَسيرٌ جدًّا، وهو:

أولًا: إن هذه النظرةَ مرتبطة بالإحساس بالزمن بمفهومه البشريِّ؛ فالحقيقة أن الألفَي عام السابقة، برغم أنها كانت مَلأى بأحداث جسيمة، وشهدت انطلاقةً في قدرة الإنسان على السيطرة على الموارد الطبيعية، فإن المفاهيمَ الأساسية من خير وحقٍّ وعدل قد استقرَّت، ولم يُضِف الإنسان بفكره عليها الكثير، بل ربما كانت بعضُ الفلسفات الحديثة جعلت حتى هذه البديهيات محلَّ شك وظن.

ثانيًا: الثابت أن الدولَ الناضجة سياسيًّا وعمرانيًّا، لم تكن حاضنةً جيدة للأديان في السابق، بل إنها كثيرًا ما تركت آثارًا سلبية في الرسالات، وتركت فيها بعضَ آثار معتقداتها السابقة، والشيء الجيد أن هناك نصوصًا خلَّفها الأنبياء وهي الأساسُ في دراسة الأديان للبحث عن حُلولٍ لأزمات الإنسان العصريِّ.

لكن كيف نتحقق من كون دينٍ ما، هو من عند الله؟

وكيف نتحقق أن تلك الشخصيةَ التاريخية كانت شخصيةَ نبيٍّ حقيقي؟

عندما أفكر في هذا الأمر؛ أحاول دائمًا توقع ما سيفعله شخصٌ مخادع وشديد الذكاء أراد أن يعاملَه الناس على أنه نبي؛ في حين لا صلة له بالسماء.

إنه لن يطلبَ من التابعين تضحيات والتزامات شاقة؛ قد تُضعف من قدرته على استقطاب الناس.

ولكن ماذا عن النبيِّ محمد؟

- دعا إلى المساواة بين الناس جميعًا، دون الالتفات إلى العِرق، وهذا يتعارض مع كون الرقِّ من أقوى محرِّكات الاقتصاد في تلك الحِقبة، وكان مقبولًا أخلاقيًّا في كلِّ المجتمعات. ثم إن هذا يتعارض مع إيمان كثير من الشعوب، وأحيانًا الأديان، بوجود فوارقَ بين البشر على أساس عنصريٍّ، وكان منهم العرب.

- دعا إلى تجاهل كلِّ أنواع الثأر التي كانت قبل عهده، أيًّا كانت مكانةُ القتيل وعائلته، وهذا يتعارض مع كون الأخذ بالثأر عُرفًا اجتماعيًّا لا يستطيع الإنسان الفكاك منه، إلا بأن يتركَ قومه بعد أن ترك ثأره.

- نهى عن شرب الخمر والقِمار والزِّنى، وهي وسائلُ ترفيه، ما زالت لها أهميةٌ كبرى في المجتمعات الحديثة، وبالطبع كانت هي كلَّ شيء بعد التجارة في مجتمع صحراويٍّ خشن.

- نهى عن الربا، ومعروف أن الربا خدمةٌ مالية قديمة، كان الأقدمون يبالغون في استخدامها بصورة تضرُّ الفقراء، وطبعًا كانت وسيلةً للكسب السهل دون مخاطرة.

هذه بعض الأمور التي طلب محمد ﷺ من قومه أن يُعرضوا عنها، ويبدؤوا حياةً جديدة، كل هذا في جوٍّ من المعاناة والتنكيل الشديد.. مَن سيدعو إلى كلِّ ذلك بلا ضعف، وفي مواجهة مجتمع لا يقبل التغيير؟!

لكن بدراسة سلوك مدَّعي النبوة قبل ادِّعائها، وبعد ادِّعائها، ومقارنته بالتعاليم والوصايا للأَتباع، نجد- بلاشك- بعضَ التناقض، خصوصًا إذا توافر الكثيرُ عن حياة هذا الشخص المدعي؛ لذا الأفضل لمدَّعي النبوة أن يتجنب الاختلاطَ الدائم بأتباعه..

ولنضع في اعتبارنا أننا نتكلَّم على مجتمع قَبَليٍّ، الناس فيه متلاصقون، ويعرف بعضهم بعضًا جيدًا، وأعمالهم لا تشغل كلَّ وقتهم، وهو ما يتيح فرصةً أفضل لأن يعرف

الإنسان من يعيش حوله من الأقرباء والجيران، وهذا يسمح بتكوين رؤية واضحة عن شخص وُلِدَ وعاش بينهم، وكَبِرَ حتى بلغ سنَّ الأربعين، حتى إن سادةَ قومه الذين عادَوه لا يُذكر لهم عداءٌ معه قبل الرسالة قط، بل كانوا يلقِّبونه بالصادق الأمين.

ويسترعي انتباهنا أنه ﷺ كان قبل البعثة كثيرَ الصمت، طويلَ التأمُّل؛ ولذا لم يكن مجادلًا، وهذا ينفي عنه شُبهة حبِّ الظهور والتفرُّد؛ فلم يكن يجادل أهله في الأشياء التي عافَها وكرهها، ومنها الاحتفال بالأصنام وتعظيم شأنها، وكانت حاله إذا وجد أهله يُسارعون إلى خير سارع معهم، وإذا سارعوا إلى ما يكره تركهم وشأنهم.

أما بعد البعثة فكان -هو نفسه- نموذجًا للسلوك القويم والخلق العظيم الذي يدعو إليه، الصدق والأمانة، والرحمة والتواضع، والإيثار والكرم، وعفَّة اللسان والحِلْم، مدة ثلاث وعشرين سنةً، وفئة الصحابة القريبةُ منه -للتعلُّم والاقتداء به- كانت فئةً كبيرة، شاهدته في بيعه وشرائه، وأكله وشربه، وأحلافه واتفاقياته وحروبه.

ولنضع في اعتبارنا أن أمةَ العرب لم تكن كأمم الشرق المغرقة في الروحية، بمعنى أنه لم يكن عندهم حسٌّ روحي

عالٍ يسمح لأحد بالتأثير فيهم، ويفقدهم قدرتهم على النظرة النقدية، لقد كانوا قومًا على الفطرة، يَرَون الأشياء على حقيقتها، حتى إيمانُهم بالله قبل البعثة كان قائمًا على منطق استدلالي يسير: (الموجود يدلُّ على الموجد).

- المدعي لابد أن يكون طقسيًّا في كلامه وفي زيه وسلوكه؛ بحيث يبدو كأنه شخصيةٌ مغلَّفة بالأسرار؛ فهذا يسهِّل من مهمة التأثير في البشر، الحقيقة أن محمدًا وموسى وعيسى كانوا من الناس، عَلَّموا وتألموا وكافحوا، ولم يلبَسوا تيجانًا من ذهب، بل ساروا في طريق مملوء بالأشواك والعقبات.

- ليس من المنطقي أن يتنبأ المدعي لقومه بأيِّ شيء مستقبلي؛ لأن هذا يضع سمعته على المِحَكِّ، أما نبوءات النبيِّ محمد ﷺ فقد صارت وقائعَ شاهدها الناس، وهذا مما يعلِّم الله رسلَه. وسأذكر نبوءتين موثَّقتين في القرآن الكريم، وقد تلا محمد ﷺ هاتين النبوءتين على الناس كافَّة.

النبوءة الأولى: في القرآن سورةٌ تقطع لعمِّ النبي أبي لهب وزوجته بالكفر، وأنهما سيَصلَيان نارًا يوم القيامة ذات لهب، وهذا يعني أنهما سيموتان على الكفر، وهذا لا يعدُّ من قبيل الرهان المأمون، وبخاصة إذا عرفنا أن هذا العمَّ

وزوجته كانا من الجماعة التي تؤذي الرسول ﷺ، وقد آمن أفرادٌ من تلك الجماعة بعد ذلك، بالطبع توقُّعُ السلوكِ البشري المستقبلي أمرٌ صعب جدًّا، أو يكاد يكون غيرَ علمي.

النبوءة الثانية: جاءت بعد هزيمة الروم على يد الفرس، في صورة بُشرى للمسلمين بأنه بعد بضع سنين سينتصر الروم، إذ لا يخفى أن أتباعَ الديانات السماوية أقربُ إلى المسلمين من غيرهم من الأمم الوثنية والملحدة. ولنأخُذ في الاعتبار أنه لم يكن لدى النبي أيُّ بيانات عن التعبئة هنا أو هناك، وأن الجزم بنتيجة حرب ضخمة بين قوتين متكافئتين تكتنفه الصعوبةُ حتى على كبار خبراء الإستراتيجية في عصرنا هذا!

- لكن لماذا يختار الله أممًا ساذجة لتكون مركزًا للديانات؟

أعتقد أن الأمم المتقدمةَ يكون لديها تراثٌ فلسفي ضخم تعتدُّ به، وأفكار بشرية قد تترك بصمةً على الدين في مرحلة الاحتضان، في حين تتلقَّى الأمم الساذجة الرسالةَ بطريقة محايدة، ويتحوَّل رجالها ونساؤها إلى مسؤولين عن نقل تلك الرسالة بنقائها الأول.

كان العربُ متميِّزين بالقدرة على حفظ أيامهم وشعرهم وأنسابهم؛ وهذا ما مكَّنهم من حفظ النصِّ الإلهي على صورته التي نزل بها؛ حتى لا يتحوَّل بعد مدة إلى تأريخات متعدِّدة.

ثم إن تميزهم في الحفظ مكَّننا نحن -المعاصرين- من الاطلاع على نواح عديدة في حياة محمد بوصفه نبيًّا، وقائدًا، وزوجًا، وصاحبًا، وأبًا، وجدًّا، وحاله في الشدة والرخاء، والغضب والسرور، وهذا ما جعلنا نتعرفه تعرفًا مانعًا للجهالة، وهذا -ويالالأسف- ما لا نحصل عليه عندما نحاول مراجعة سير إخوانه الأنبياء، وكلهم قدوةٌ حسنة لنا.

العلاقة التي تربط الأنبياء بعضَهم ببعض لا يدرك كُنْهَها إلا مَن تناول هذا الأمر بعقل متفتح لا تغلفه أحكامٌ سابقة، ولا تعصبٌ لعنصر، ولا اعتمادٌ على الحالة المدنية لكل أمة حاليًّا.

لو استندنا إلىٰ الحالة المدنية فإننا سنحصُل في أوقات مختلفة على دلالات مختلفة، فلننظر إلى حال العرب والمسلمين وقت التوسُّع الإمبراطوري، والتقدُّم العلمي تحت راية إسلامية موحَّدة، ولننظر إلى حال اليونان التي كانت رائدةَ المدنية في عصور الوثنية، ثم تحولت في ظل المسيحية

إلى مجرد كِيان تابع للدولة التركية، سيقول قائل: (حسن أن نحترمَ كل الأنبياء لكنَّ هناك اختلافًا وتناقضًا في بعض الأحيان على مستوى النصوص، وعلى مستوى العقيدة في كل دين، إننا لا نملك آلة تمضي بنا إلى الأزمنة القديمة لنشاهدَ التجارِبَ والأشخاص والملابسات حتى نحكمَ معاينةً).

هذا صحيح، ولهذا لم يعد أمامنا إلا مراجعة نصوصنا جميعًا، ونحن -المسلمين- ندعم ونوفر نطاقًا واسعًا من الفحص لتراثنا، على أن المطلوبَ أن يحدث هذا في جوٍّ علمي وقور، وألا يُترك أمر تعرف الآخَر لمحبي الظهور، وهذا الحوار العلميُّ المنتِج سيوفر في الحد الأدنى احترامًا متبادلًا للأنبياء والأديان.

فلنضع القرآن محلًّا للدراسة على مستويين:

١- دراسة توافق النصوص بعضها مع بعض.

٢- دراسة توافق النصوص مع الظواهر العلمية.

وسيكون مدخلًا معقولًا إذا تعرفنا هذا النبيَّ الكريم ﷺ أولًا استنادًا إلىٰ شهادة الذين عادَوه، عندما شهدوا له أمام حكَّام الروم والحبشة بعدم كذبه أبدًا، وسيكون مدخلًا جيدًا أن ننظرَ إلى ثلاثة مواقفَ مرت بحياة النبيِّ ﷺ كانت

ستُضْعف من إرادته لوكان طامعًا في الزعامة والوجاهة، هي:

١- عرض سادةُ قومه عليه الزعامةَ والملك على أن يترك أمرَ الدعوة، وكان هذا في السنين الأولى الصعبة التي ما زال المسلمون فيها مستَضْعَفين، وهي صفقةٌ مغرية لأي طامع، وقد يَضعُف أمامها المصلح الاجتماعي.

٢- حوصر هو وأهله مدة ثلاث سنوات؛ حتى أكلوا ورقَ الشجر وجلودَ الحيوان، وهذه درجةٌ من الأذى ربما لا يقبل المصلح أن يكون سببًا وحيدًا فيها لأهله؛ ولو اختار التراجعَ في هذه الحالة لما كان يُلام.

٣- عندما فتح مكة التي اضطهده أهلها -وهم أهله- دخلها متواضعًا ليس عليه كبرياء القادة المنتصرين، خافضًا بصره إلى الأرض، وغفر لأهله وصَفَحَ عن الإساءة.

ومن الحسن أيضًا أن نتذكرَ أن الدعوة استمرت ثلاثًا وعشرين سنةً، بعدها وُلدت أمة جديدة مختلفة، استطاعت أن تقهرَ الأمم التي كانت قويةً في ذلك الزمن، وبسطت سيطرتها على مناطقَ من آسيا وإفريقيا وأوربا، ولم يكونوا معتمدين على أيِّ رصيد حضاري ومدني سابق.

إن شخصًا فعل كل هذا يستحقُّ دراسة موضوعية لسلوكه وكفاحه، وهذا هو المدخل الجيد إلى قراءة القرآن الكريم قراءة منصفة.



إن مقاربةً جديدةً لرسالة محمد ﷺ هي ضرورةٌ إنسانية وحضارية وأخلاقية، في ظلِّ إدراكنا أن هذا العصرَ الحديث لن يظهر فيه أنبياء جدد، ولا رسالاتٌ جديدة، فإنه يتحتم علينا إعادةُ اكتشاف كل التراث الديني للأديان السماوية؛ بحيث يتحوَّل هذا العالمُ الذي أصبح قرية صغيرة مشحونةً بالغضب، إلى قرية صغيرة يحكمها العدل والحبُّ والسلام.





جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

بعض ما قدَّمته رسالة النبي محمد ﷺ للمرأة

حرية روح ومضمون لا حرية شكل

المشاركة الفائزة بالجائزة الثانية
بفرع المقالة

بقلم

د. محمد رائد بن عبد المجيد الحمدو





المرأة مخلوقٌ جميل رقيق، وهي أكثر لطفًا ولينًا، وأصدق عاطفة من الرجل، وهي مادة الأدب العالميِّ عبر التاريخ، والفرقُ بينها وبين الرجل كالفرق بين الشعر والنثر، فالروح تتذوَّق الشعر بأقصى درجات الرهافة، وتتذوق النثر بدرجة أقلَّ، وجمال المرأة لوحةٌ شاملة للجمال في الروح والجسد، وهي قطراتُ الندى التي تمنح الحياة نضارةً لا تتوقف.

ومن ثَمَّ يجب أن تعامَلَ المرأة بما يناسب تلك الصفات والمزايا التي تجعلها لا تمنح عصمتها إلا لمن يستحقُّ من الرجال، وهي شجاعة في إبداء ما يعتلج في قلبها من عاطفة، ولكن بطريقتها التي لا يخطئ فهمَها أحد.

وإن حرمان المرأة من خياراتها في الحياة وحقوقها جَورٌ وظلم، تلك الخيارات التي كفلها لها الإسلامُ بما أوحى الله إلى نبيِّه محمد ﷺ من نص قرآني منـزل، وبما أجرى على لسانه من حديث شريف، وعلى يديه من سلوك عمليٍّ تطبيقيٍّ.

أول تلك الحقوق وأهمُّها:

اختيار شريك حياتها؛ لأن حرمانها هذا الحقَّ هو قتلٌ بارد لروحها قبل جسدها.

كما قال الشاعر:

وقـاتِـلُ الـجِـسـمِ مَـقْـتـولٌ بـفِـعْـلَـتِـهِ
وقـاتِـلُ الـرُّوحِ لاتَـدري بـهِ الـبَـشَـرُ

وقد ورد عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الثَيِّبُ أحقُّ بنفسِها من وَلِيِّها، والبِكْرُ يستأذنُها أبوها في نفسِها، وإذنُها صَمتُها».

وسأضرب أمثلة لبيان هذا الهدي النبويِّ الشريف، فقد ورد أن فتاةً جاءت إلى النبيِّ ﷺ تشكو له إجبارَ والدها لها على القَبول بمن لا تريده، فأقرَّها النبي ﷺ على موقفها؛ حيث روى البخاري أن خنساء بنت خِذام الأنصارية أنكحها أبوها كارهةً، فردَّ النبي ﷺ ذلك. وهذا درسٌ يهمله الكثيرون ممن يجلدون المرأة بعصا تصلُّبهم.

وفي التعامل مع المرأة - زوجةً - الكثير من التوصيات النبوية التي تحضُّ على مراعاة طبيعتها؛ فقد أمر النبيُّ ﷺ الرجلَ بأن يحسن معاشرتها وألا يقعَ عليها كالبهيمة، بل عدَّ من نواقص الرجولة أن يبلغ الرجل النشوةَ دون أن يُبلغها لزوجته، وفي ذلك نصوصٌ صريحة.

وفيما يخصُّ استمرار الحياة الزوجية بين زوجين غير منسجمَين؛ فإن الإسلامَ الذي أعطى للرجل حقَّ الطلاق لأنه أكثر تحكماً بالشأن العاطفي، **منح المرأة أيضاً حقَّ طلب**



التطليق والمخالعة:

عن ابن عباس رضي الله عنه: أن زوجَ بَريرةَ كان عبداً يقال له مُغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبيُّ ﷺ لعباس: «يا عباسُ، ألا تعجَبُ من حبِّ مغيثٍ بريرةَ، ومن بُغْض بريرةَ مغيثاً؟» فقال النبي ﷺ: «لو أرجعتِه». قالت: يا رسول الله أتأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع». قالت: فلا حاجة لي فيه(١).

لمَّا علمت أن كلامه ليس أمراً وإنما هو شفاعةٌ اختارت ما تظنه مصلحتَها.

وفي حديث آخرَ: جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما أنقِمُ على ثابت في دين ولا خُلُق، إلا أني لا أحبُّه. فقال ﷺ: «فتردِّين عليه حديقته؟». فقالت: نعم. فردَّت عليه حديقته، وأمره ففارقها(٢).

إن الإسلام أمر الزوجَ بإحسان معاشرة زوجته أمرًا واضحًا صريحًا في مثل قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾(٣)، وفي قوله أيضاً: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾(٤)،

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم (٤٨٧٥).
(٢) انظر الحديث رقم (٤٨٦٧) في صحيح البخاري.
(٣) النساء: ١٩.
(٤) البقرة: ٢٢٨.



وقوله ﷺ: «استَوصُوا بالنِّساء خَيراً»، وقوله: «خَيرُكُم خَيرُكُم لأهله»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «رِفقاً بالقَوارير».

وأمر بألا يضارَّ الرجل امرأته فيمسكها إيذاءً لها وتعذيباً لإنسانيتها، وإهداراً لكرامتها، قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ﴾(1).

أما التعدد فهو حقٌّ أعطاه الإسلام للرجل وفقَ منهج سليم يكفل للمرأة أن تكونَ زوجة ثانية، لها ما للأولى من حقوق، بدلاً من تعدُّد الخليلات الذي تَمنح به المرأة المتعةَ لرجل متزوِّج من غيرها، وتحصد الخيبةَ والخسران، فلا حقوق لها ولا كرامة، وإن حملت أجهضت وعرَّضت نفسها للموت.

واشترط الإسلام العدلَ بين الزوجات: قال تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾(2). وقال ﷺ: «من كانت له امرأتانِ يَميلُ لإحداهُما على الأُخرى جاء يومَ القيامة يَجُرُّ أحدَ شِقَّيهِ ساقِطاً أو مائِلاً».

وفي صدر الدولة الراشدة **أمثلةٌ لحسن التعامل مع حاجات المرأة**، منها ما يُروى عن أمير المؤمنين عمرَ بن

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) النساء: ٣.



الخطاب رضي الله عنه أنه كان يتفقَّد أحوالَ الرعية ليلاً فسمع صوتَ امرأة تنشد:

تَطاوَلَ هذا الليلُ وازوَرَّ جانِبُهْ
وأَرَّقَني ألَّا خَليلٌ أُلاعِبُهْ
فَوَاللهِ لولا اللهُ تُخْشَى عَواقِبُهْ
لَحُرِّكَ مِن هذا السَّريرِ جَوانِبُهْ
مَخافَةُ ربِّي والحَياءُ يُعِفُّني
وإكرامُ بَعْلي أن تُنالَ مَراتِبُهْ

فسأل عمرُ رضي الله عنه عنها، فقيل له: إنها زوجةُ فلان، وله في الغزو ثمانية أشهر، فأمر عمر رضي الله عنه ألا يغيبَ الرجل عن زوجته زمنًا طويلاً، وكان ذلك أولَ نظام إجازات في تاريخ الجيوش الإسلامية.

وفي تفقُّد آخر سمع رضي الله عنه امرأة تنشد:

فمِنهُنَّ مَن تُسقى بمِسكٍ وعَنبَرِ
ومِنهُنَّ مَن تُسقى بنافِخِ كِيرِ

فاستدعاها عمر رضي الله عنه وسأل عن الموضوع. قالت: يا أمير المؤمنين، زوجي فيه ازورارٌ في وجهه، ورائحة فمه كريهة! فطلب منه أن يأخذ مبلغاً من المال ويطلقها، فوافق. وذلك درسٌ يدل على أهمية إيلاء العلاقة الإنسانية الحميمة بين الرجل والمرأة ما تستحقُّ من أهمية، وجعلها في أولى

أولويات قضايا المجتمع، ومن أعلى مستويات الدولة، ذلك لأن هذه العلاقةَ أساسُ استقرار الأسرة، ثم أساس استقرار المجتمع.

هذه أمثلة ليست سوى غَيض من فَيض عن بعض حقوق المرأة في الإسلام، ولقد أَعْمَت الثقافة الاستشراقية أعينَ أبنائها عن رؤية هذه الأمثلة وغيرها.

وفي المقام الثاني هناك حقوقٌ أخرى للمرأة في الإسلام، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- حقُّ التملُّك والميراث: وهنا نستعرض عدة نماذج:

أ- في توريث الأب لأبنائه: للذَّكَر مثل حظِّ الأُنثَيَيْن، كما في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[١].

وهنا نحن أمام قاعدة ذهبية، فالذَّكَر في الإسلام مسؤولٌ عن دفع مهر الزوجة وعن الإنفاق عليها، فأعطاه الله من ميراث أبيه حصَّة له وحصَّة لامرأة أخرى من غير صُلب أبيه وهي زوجته، وأعطى لأخته نصفَ حصته لتعيش كريمة إن لم تتزَّوج، وإن تزوجت فإن رجلاً آخر سينفق عليها وتبقى حرَّة في حصتها من أبيها.

(١) النساء: ١١.



أيها الناس هاتوا لي شريعة أكثر إنصافاً للمرأة من الإسلام!

ب- إذا ترك الميت أباً وأمًّا، ورث كل من أبويه سدس التَّرِكَة، دون تفريق بين ذكورة الأب، وأنوثة الأم؛ وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾[(١)].

ج- إذا ورث المرأةَ المتوفاة زوجُها وابنتُها فإن ابنتها ترث النصف ويرث والدُها الذي هو زوجُ المتوفاة الربع، أي أن الأنثى ترث هنا ضعفَ ما يرثه الذكر. وإذا ورث الميتَ زوجةٌ وابنتان وأخ له فإن الزوجةَ ترث ثمن المال وترث البنتان الثلثين، وما بقي فهو لعمِّهما وهو شقيق الميت، وبذلك ترث كلٌّ من البنتين أكثرَ من عمهما وهو ذكر.

ولأن الإنفاقَ على المرأة في الإسلام مسؤوليةُ الزوج، إن كانت متزوجة، ومسؤولية الأب وبعد وفاته مسؤولية الإخوة، فإن المرأة تكون حصلت على حصتها من الميراث معفاةً من أيِّ التزام، ذلك لأن مجالات التكسُّب والعمل عند الرجل أكثر اتساعاً منها عند المرأة.

٢- حقُّ العمل:

لقد أوكل الشرع الإسلاميُّ للمرأة أقدس الأعمال على



(١) النساء: ١١.

الإطلاق فهي مربية الجيل، وصانعة مستقبل الأمة، هذا داخل المنزل، أما خارجه فلم يمنع الإسلام المرأةَ من القيام بالعمل الذي يناسب طبيعتها كالتمريض حتى في ساحات القتال، مثل رُفَيدة رضي الله عنها التي كلفها النبي ﷺ بتمريض سعد بن معاذ رضي الله عنه، الذي أصيب بجروح بليغة في غزوة الخندق.

ونساء الأنصار كنَّ يعملن بالزراعة جنباً إلى جنب أزواجهن.

٣- حقُّ التعلُّم:

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجالُ بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا. فقال: «اجتَمِعنَ في يوم كذا وكذا..» فاجتَمَعنَ فأتاهنَّ. رواه البخاري ومسلم.

هذا، والنصوص التي تحضُّ على العلم كانت موجهةً للمسلمين ذكوراً وإناثاً.

٤- الحقوقُ السياسيَّة:

المرأة المسلمة كانت إلى جانب الرجل المسلم في مُختلِف مراحل الدعوة الإسلامية، مهاجرة بدينها، ومشاركة في إبداء الرأي والمشورة والبيعة للحاكم والاعتراض عليه إن



اعتقدت أنه أخطأ. وهناك أدلةٌ عدة أسوق منها ذلك الحوارَ الذي دار بين النبيِّ ﷺ وهند بنت عُتبة عندما رآها بعد فتح مكة مع بعض النساء اللواتي اعتنقن الإسلام، وذكر لهنَّ ما لهن من حقوق وما عليهن من واجبات، وسألته سؤالها الشهير: أَوَ تزني الحرَّة يا رسول الله؟!

ومثال آخر عن المرأة التي وقفت تردُّ على عمر رضي الله عنه، قائد أقوى دولة في ذلك الحين، فقال: أخطأ عمر وأصابت امرأة. والحوار كان في المسجد، وهذا يعني أن المرأةَ كانت تذهب إلى المسجد لتصلي وتتعلم وتسأل وتناقش.

أما موضوع (القوامة) فهو ضرورة أن يكونَ للأسرة التي هي مؤسسة تربوية، منسِّق وقائد، والرجل أحقُّ بها لأنه مطلوبٌ منه أن ينفقَ على الأسرة زوجةً وأبناء، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾(١).

هذا بعضُ ما أعطى نبيُّ الإسلام للمرأة عبر ما أُوحي إليه من النصِّ القرآني بهذا الخصوص، وما تركه لنا من الحديث النبويِّ والتطبيق الفعلي. أما من يفهم تلك الآثارَ فهماً مغلوطاً فهو يسيء إلى الإسلام من الداخل، قبل أعداء

(١) النساء: ٣٤.



الإسلام من الخارج، لأننا مطلوبٌ منا أن نقتديَ بالنبي ﷺ في كلِّ شيء؛ لأن الله أمرنا بذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾[1].
فمطلوبٌ منا طاعته لأنه إمامنا وقائدنا وشفيعنا، وهو معلِّم الناس الخير، ونفديه بأرواحنا وأموالنا وآبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وأبنائنا:

بأبي وأمِّي يا رسولَ الله إنْ
هَزَأت بقَدرِكَ ثُلَّةُ السُّفَهاءِ
تبًّا لما زَعَموهُ من حُرِّيةٍ
تُفْضي إلى الحرِّيةِ الحمراءِ
أرواحُنا تُهدى إليكَ رخيصةً
إن أمعَنَ السُّفَهاءُ باستِهْزاءِ

ولمن يَدفِنُ أحاسيسه في رُكام رجولة كاذبة من أبناء ديننا أقول: المرأة أمٌّ، والجنة عند قدميها، أو أختٌ، جارة في رحم واحد، أو بنتٌ، ثمرة قلب خافق، أو زوجةٌ، تَهَبُ الحياة الدفء والحنان والسكينة.

ولضحايا الثقافة الغربية من أبنائها ومن أبنائنا أقول: إن الثقافةَ الغربية مَلأى بالمغالطات عن حقوق المرأة في الإسلام، ذلك لأنها ثقافةٌ تريد النزول من مقام حرية الروح

(١) محمد: ٣٣.



والمضمون إلى دَرْك حرية الشكل فقط! والغربُ نفسه اليوم يُدرك إلى أيٍّ مدى وصلت حضارته المعتمدة على ذلك، برغم اعترافنا للغرب بأنه قدَّم مدنية علمية غير مسبوقة، لكنها كما أعطت الدواءَ الجيد للمريض، ووسائلَ الحياة المرفهة، اخترعت وسائلَ التدمير الشامل على نحوٍ غير مسبوق! ومن أبرز مميزات هذه المدنية الغربية القائمة على حرية الشكل والغريزة، ما نراه اليومَ من أمراض فتَّاكة وفي مقدمتها الإيدز. فمن يقفز على قيم الإسلام فهو ينتمي إلى قلَّة حاقدة، أو إلى كثرة منقادة بجهل لا تعرف من الإسلام إلا الاسم، وعلينا تبصيرُها والأخذ بيدها إلى جادَّة الصواب والحق، والله الموفِّق والهادي.











جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

دور النبيِّ محمد ﷺ في تحضُّر العرب!

المشاركة الفائزة بالجائزة الثالثة
بفرع المقالة

بقلم
محمد مسعد ياقوت





للنبيِّ محمد ﷺ الدورُ الأعظم في الارتقاء حضارياً بمستوى العرب، بعد عصور الظلام في أوربة، وعهود الجهل في الجزيرة العربية. وفي هذه المقالة؛ نحاول أن نثبتَ هذه الحقيقة، ليس من أفواه العلماء المسلمين فحسب، بل من أفواه المفكِّرين والباحثين من غير المسلمين.

النبيُّ محمد ﷺ يصنع من قبائل العرب (أُمَّة):

تقول إيفلين كوبولد: «كان العربُ قبل محمد ﷺ أمةً لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمدٌ ﷺ بعث هذه الأمة بعثًا جديدًا يصح أن يكون أقربَ إلى المعجزات فغلبت العالم وحكمت فيه آجالاً وآجالاً... لقد استطاع النبيُّ ﷺ القيام بالمعجزات والعجائب، لَمَّا تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقَبول الوحدانية الإلهية.. لقد وفِّق إلى خلق العرب خلقًا جديدًا ونقلهم من الظلمات إلى النور»[(١)].

فلقد كانت الحياةُ العربية قبل الإسلام تقوم أساساً على نمط خاص، فالقبيلةُ هي التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي يحيا في ظله الفردُ في القبيلة، فكان انتماء العربيِّ الجاهلي انتماء قبلياً، وليس هناك أيُّ رابطة عملية توحِّد القبائل وتجمعها، بل على العكس كانت القبائل متناحرةً متحاربة،

(١) إفلين كوبلد: البحث عن الله، ص٥١، ٦٦، ٦٧.

وإذا ما قامت أحلافٌ قبلية، فلمناصرة قبيلة على أخرى، وبهذا كانت القبيلة العربية تشكل وحدةً سياسية مستقلة.
ومن هنا كان الانقلابُ الذي أحدثه الرسول محمد ﷺ عميقاً في حياة الجزيرة العربية، إذ استطاع بسياسته الكفاحية التي تُمليها روح الإسلام، أن يحوِّل هذه الوحدات القبلية المستقلة ويرتقيَ بها لتظهر في إطار الأمة الإسلامية[١].

وهكذا، فإن الأمة الإسلامية -القائمةَ على الإيمان- التي أسسها النبيُّ محمد ﷺ كانت وما زالت أقوى رباطاً وأوثق عُرى من فكرة القبلية التي سادت في القرون الغابرة.

ويؤكد ذلك المفكر الألماني رودي بارت[٢] بقوله: «كان العربُ يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي شبه الجزيرة وواحاتها، يعيثون فيها فسادًا، حتى أتى محمدٌ ﷺ ودعاهم إلى الإيمان بإلهٍ واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كِيان واحد متجانس»[٣].

---

(١) انظر: محمد شريف الشيباني: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، ص ٦٨ وما بعدها.

(٢) مفكر وباحث ألماني، عكف على الدراسات الشرقية والعربية في جامعة هايدلبرج، ووقف حياته على دراسة الإسلام، وصنف عددًا كبيرًا من الكتب والبحوث، منها ترجمته للقرآن الكريم، التي أصدرها في عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥م، وله كتاب عن النبي محمد ﷺ.

(٣) رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ٢٠.

ويقول رودي بارت، في موضع آخر: «جاء محمد بن عبدالله ﷺ، النبيُّ العربي وخاتم النبيين، يبشِّر العربَ والناس أجمعين بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعةُ في دعوته لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسُلطة إلهية ملزمة، لا تضبط الأمورَ الدينية فحسب، بل أيضًا الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاةَ، والجهاد ضد المشركين، ونشر الدين الحنيف.. وعندما قُبض النبي العربي ﷺ، عام **٦٣٢**م، كان قد انتهى من دعوته، وانتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيرًا فوق النظام القَبَلي الذي كان عليه العربُ قبل الإسلام، وصَهَرَهُم في وحدة قوية، وهكذا تمَّ للجزيرة العربية وحدةٌ دينية متماسكة، لم تعرف مثلَها من قبل..»(١).

فضل النبيِّ محمد ﷺ على العرب لا حدَّ له!

هذا، ولقد أثار موضوعُ فضل الرسول محمد ﷺ على العرب، اهتمامَ المنصفين، فهو الذي وحَّد الجزيرةَ العربية أول مرة في التاريخ في ظلِّ حكم إسلامي متنوِّر، نقل العربَ من الجاهلية إلى الحضارة والمدنية.. يقول الباحث الروسي آرلونوف في مجلة الثقافة الروسية، في مقالة (النبي محمد ﷺ): «في شبه جزيرة العرب المجاورة لفلسطين

(١) رودي بارت: تاريخ الحضارات العام، ٣ / ١١٢.

ظهرت ديانةٌ أساسها الاعترافُ بوحدانية الله، وهذه الديانة تُعرَف بالمحمدية أو كما يسميها أتباعُها: الإسلام، وقد انتشرت هذه الديانة انتشاراً سريعاً، و مؤسِّس هذه الديانة هو العربيُّ محمد ﷺ، وقد قضى على عادات قومه الوثنية، ووحَّد قبائل العرب، وأثار أفكارَهم وأبصارَهم بمعرفة الإله الواحد، وهذَّب أخلاقهم وليَّن طباعهم وقلوبهم وجعلها مستعدَّة للرقي والتقدم، ومنعهم من سفك الدماء ووأد البنات، وهذه الأعمالُ العظيمة التي قام بها محمد ﷺ تدلُّ على أنه من المصلحين العظام، وعلى أن في نفسه قوةً فوق قوة البشر، فكان ذا فكر نيِّر، وبصيرة وقيادة، واشتُهر بدماثة الأخلاق، ولين العريكة، والتواضع وحسن المعاملة مع الناس. قضى محمدٌ ﷺ أربعين سنة مع الناس بسلام وطمأنينة، وكان جميعُ أقاربه يحبونه حبًّا جمًّا، وأهل مدينته يحترمونه احتراماً عظيماً، لما كان عليه من المبادئ القويمة، والأخلاق الكريمة، وشرف النفس، والنزاهة»[(١)].

وهكذا فإن فضلَ الرسول محمد ﷺ على العرب لا حدَّ له، إذ أخرجهم من الجاهلية إلى نور الإسلام، يقول المستشرق الإيرلندي المستر هربرت وايل في كتابه "المعلم الكبير": «بعد ست مئة سنة من ظهور المسيح ظهر محمدٌ

(١) آرلونوف: النبي محمد، مجلة الثقافة الروسية، ج ٧، عدد ٩.





فأزال كلَّ الأوهام، وحرَّم عبادة الأوهام، وكان يلقبه الناس بالأمين، لما كان عليه من الصدق والأمانة وهو الذي أرشد أهل الضلال إلى الصراط المستقيم»(١).

ويضيف هنري سيروي أن «محمداً ﷺ لم يغرس في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضًا المدنية والأدب»(٢).

ويتحدث الباحث الأمريكي جورج دي تولدز (١٨١٥-١٨٩٧)، عن فضل الرسول محمد ﷺ على العرب حين نقلهم من الهمجية إلى المدنية، وعن دور الرسالة في تبديل أخلاق عرب الجاهلية، حين عَمَر ضياء الحق والإيمان قلوبَهم، فيقول: «إن من الظلم الفادح أن نَغمِطَ حقَّ محمد ﷺ، والعربُ على ما علمناهم من التوحُّش قبل بعثته، ثم كيف تبدَّلت الحالة بعد إعلان نبوته، وما أورثه الديانة الإسلاميةُ من النور في قلوب الملايين من الذين اعتنقوها بكلِّ شوق وإعجاب من الفضائل، لذا فإن الشكَّ في بعثة محمد ﷺ إنما هو شكٌّ في القدرة الإلهية التي تشمل الكائنات جمعاء»(٣).

---

(١) هربرت وايل: المعلم الأكبر، ص ١٧.

(٢) هنري سيروي: فلسفة الفكر الإسلامي، ص ٨.

(٣) جورج دي تولدز: الحياة، ص ٦ .



من أعظم الآثام أن نتنكَّر لدور النبيِّ محمد ﷺ:

يؤكد ذلك م. ج. دُرّاني[١] بقوله: «.. وأخيراً أخذت أدرس حياة النبيِّ محمد ﷺ فأيقنتُ أن من أعظم الآثام أن نتنكَّر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكةً لله بين أقوام كانوا من قبلُ متحاربين لا يحكمُهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كلَّ الأفعال المَشينة، فغيَّر طرقَ تفكيرهم، لا بل بدَّل عاداتهم وأخلاقَهم، وجمعهم تحت راية واحدة، وقانون واحد، ودين واحد، وثقافة واحدة، وحضارة واحدة، وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمةُ، التي لم تنجب رجلاً عظيمًا واحدًا يستحقُّ الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة، تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية، وتُعلِّم الناس أمورَ الدين الجديد»[٢].

وتقول الشاعرة الإنكليزية اللايدي إيفلين كوبرلد في كتابها "الأخلاق": «لعَمري لقد استطاع محمد ﷺ القيامَ

---

(١) سليل أسرة مسلمة منذ القدم، تنصَّر في مرحلة مبكرة من حياته بتأثير إحدى المدارس التنصيرية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا من عام ١٩٣٩م حتى عام ١٩٦٣م، ثم شرح الله صدره للحقِّ فرجع إلى دين الإسلام.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٤ / ٢٨ - ٢٩.

بالمعجزات والعجائب، لمَّا تمكن من حمل هذه الأُمَّة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام، وقَبول الوحدانية الإلهية، ولقد كان محمد ﷺ شاكراً حامداً إذ وُفِّق إلى خلق العرب خلقاً جديداً، ونقلهم من الظلمات إلى النور، ومع ذلك كان محمد ﷺ سيدَ جزيرة العرب، وزعيمَ قبائلهم، فإنه لم يفكِّر في هذه، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظلَّ على حاله، مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادمُ المسلمين، ينظِّف بيته بنفسه، ويُصلح حذاءه بيده، كريماً بارًّا كأنه الريحُ السارية، لا يَقصِده فقيرٌ أو بائس إلا تفضَّل عليه بما لديه، وكان يعمل في سبيل الله والإنسانية»[١].

كان فضل النبيِّ محمد ﷺ على العرب من العمق وبُعد الأثر عظيمًا لا يحصره زمان أو يحدُّه مكان، عاشته أمة الإسلام وما زالت، وسيظلُّ باقياً خالداً. يقول الباحث قَسْطاكي الحِمصي (١٨٥٨-١٩٤١م): «إذا كان سيدُ قريش نبيَّ المسلمين ومؤسسَ دينهم، فهو أيضًا نبيُّ العرب ومؤسسُ جامعتهم القومية، فكما أنه من الحمق والمكابرة أن ننكرَ ما لسيد قريش من بعيد الأثر في توحيد اللهجات العربية، وقتل العصبيات الفرعية في نفوس القبائل، بعد أن أنهكها الاقتتال في الصحراء، وتناحر ملوكها في الشام والعراق تناحراً أطال

(١) إيفلين كوبرلد: الأخلاق، ص ٦٦.

أمد الحماية الرومانية والفارسية في البلدين الشقيقين حتى الفتح الإسلامي= فمن الخطأ أن ننكرَ ما للرسول العربي الكريم وخلفائه من يدٍ على أمن الشرق، في إثارة تلك الحماسة والبطولة النادرة المتدفِّقة في صدور أولئك الصحب الميامين، الذين كانوا قابعين في حزون الجزيرة وبطاحها، في سبيل الفتح، والمنافحة لتحرير الشرق من رِقِّ الرومان وأسر الفرس. إن سيد قريش هو المنقذُ الأكبر للعرب من فوضى الجاهلية، وواضعُ حجر الزاوية في صَرح نهضتهم الجبَّارة المتأصِّلة في تربة الخلود»[١].

ويبين آرنولد توينبي[٢] أن النبي محمداً قد وقف حياته على تحقيق رسالته في كَفالة مظهرين أساسيين في البيئة الاجتماعية العربية؛ هما الوَحدانيةُ في الفكرة الدينية، والقانونُ والنظام في الحكم. «وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضمَّ بين ظَهرانَيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معًا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوةٌ دافعة جبَّارة، لم تقتصر على تلبية احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة

(١) مجلة الفتح القاهرية، عام ١٩٣٠م.

(٢) المؤرخ البريطاني، الذي انصبَّت معظم دراساته على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها مؤلَّفه الشهير "دراسة للتاريخ" الذي شرع فيه عام ١٩٢١م، وفرغ منه عام ١٩٦١م، وهو يتكوَّن من اثني عشر جزءًا، عرض فيها توينبي رؤيته الحضارية للتاريخ.



إلى أمةٍ متحضِّرة.. بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم بأسره من سواحل الأطلسي إلى شواطئ السهب الأوراسي»[١].

وصدق رسولُ الله ﷺ عندما قال: «يا مَعْشَرَ الأَنصارِ، أَلَمْ أَجِدْكُم ضُلَّالاً فَهَداكُمُ اللَّهُ بِي، وكُنتُم مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وعالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي».. كُلَّما قال شيئًا قالوا: اللَّهُ ورسولُه أَمَنُّ[٢].

من قبائل متناحرة إلى أمة محترمة:

بهذا الإيمان الواسع العميق والتعليم النبويِّ المتقن، وبهذه التربية الحكيمة الدقيقة وبشخصيته الفذَّة، وبفضل الكتاب السماويِّ المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ولا تَخْلَق جِدَّتُه، بعث النبيُّ محمد ﷺ في الإنسانية المحتضِّرة حياة جديدة!

عَمَدَ إلى الذخائر البشرية وهي أكداسٌ من الموادِّ الخام لا يعرف أحد غَناءها، ولا يعرف محلَّها، وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والإخلاد إلى الأرض، فأوجد فيها بإذن الله الإيمانَ والعقيدة، وبعث فيها الروحَ الجديدة، وأثار من

(١) سومر فيل و آرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ١٠/ ٣٨١.
(٢) صحيح البخاري.



دَفائنها وأشعل مواهبَها، ثم وضع كلَّ واحد في محلِّه فكأنما خُلق له، وكأنما كان المكان شاغراً لم يزل ينتظره ويتطلَّع إليه، وكأنما كان جماداً فتحول جسماً نامياً وإنساناً متصرِّفاً، وكأنما كان ميتاً لا يتحرك فعاد حيًّا يُملي على العالم إرادته، وكأنما كان أعمى لا يُبصر الطريق فأصبح قائداً بصيراً يقود الأمم.

عَمَدَ إلى الأمة العربية الضائعة، وإلى أُناس من غيرها، فما لَبِثَ العالم أن رأى منهم نوابغَ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ، فأصبح عُمَر الذي كان يرعى الإبلَ لأبيه الخطَّاب... إذا به يفجأ العالم بعبقريته وعصاميته، ويدحر كِسرى وقيصر عن عرشيهما، ويؤسِّس دولة إسلامية تجمع ممتلكاتهما، وتفوقُهما في الإدارة وحسن النظام، فضلاً عن الورع والتقوى والعدل الذي لا يزال فيه المثل السائر(١).

للنبيِّ محمد الفضلُ الأكبر في رقيِّ العالم كلِّه!

ويبيِّن المستر سنكس أن لمحمد ﷺ الفضلَ الأكبر ليس فقط في رقيِّ العرب، بل في رقيِّ العالم كلِّه حتى اليوم، فيقول سنكس: «ظهر محمد ﷺ بعد المسيح بخمس مئة وسبعين سنةً، وكانت وظيفتُه ترقية عقول البشر، بإشرابها

(١) انظر: أبو الحسن النَّدْوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ١٥٥ وما بعدها.



الأصولَ الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة..»، إلى أن قال: «إن الفكرة الدينيةَ الإسلامية، أحدثت رقيًّا كبيراً جدًّا في العالم، وخلَّصت العقل الإنسانيَّ من قيوده الثقيلة التي كانت تأسِره حول الهياكل بين يدَي الكُهَّان. ولقد توصل محمد -بمحوه كلَّ صورة في المعابد، وإبطاله كلَّ تمثيل لذات الخالق- إلى تخليص الفكر الإنسانيِّ من عقيدة التجسيد الغليظة»[١].

وهكذا، ارتقى العربُ وغير العرب، ارتقاء متميِّزًا، وتقدموا تقدُّمًا حضاريًّا ضخمًا من عصور الجاهلية والظلام إلى عصور التحضُّر، بفضل دعوة النبيِّ محمد ﷺ.



(١) آن بيزينت: حياة وتعاليم محمد، ص٥.








جائزة الألوكة

مسابقة: «انصُر نبيَّك وكُن داعيًا»

بل كان نبيًّا رسولاً

المشاركة الفائزة بالجائزة الرابعة
بفرع المقالة

بقلم

هيثم بدير إبراهيم







قدَّم بعض المستشرقين جملةً من النظريات المنحرفة لتفسير النهضة التي قامت بين العرب، وظهور الدولة الإسلامية، وحاولوا جاهدين أن يُلغوا الصِّبغة الدينية لهذه الحركة التاريخية، وقد أفضى بهم ذلك إلى جعل الإسلام مجرَّد ثورة للفقراء على الأغنياء، وقالوا: إن النبيَّ محمدًا ﷺ لم يكن أكثرَ من مصلح اجتماعي أراد أن يعزِّز القيم الفاضلة في المجتمع الذي نشأ فيه، والذي كان يموج بمظاهر التخلُّف والفساد الأخلاقي والاجتماعي، فلم يجد أفضلَ من الدعوة إلى دينٍ جديد، وأن يتقمَّص -بزعمهم الباطل- دورَ النبي المبعوث من ربِّ العباد.

وقامت نظريةٌ أخرى مغايرة، وهي أن النبيَّ ﷺ كان رجلاً يطمح إلى الملك والسيطرة على مقاليد الأمور، فوضع لنفسه خُطَّة تعتمد على تجميع الناس من حوله والتغرير بهم من منطلَق هذا الدِّين الجديد، وساعدته على ذلك الظروفُ الاجتماعية التي وُجد فيها، حيث كان الناس في أمسِّ الحاجة إلى نظام يلمُّ شَتات العرب، ويجمعهم على كلمة واحدة، بعد أن أنهكتهم الحروب، وذاقوا مرارةَ الفقر والحرمان، ولهذا التفَّ العرب حوله وانضمُّوا تحت لوائه، وقبلوا دعوتَه التي أتى بها.

ومن المعلوم أن الدعوةَ التي أتى بها النبيُّ ﷺ تشمل ما

ذكروه من جوانبِ السياسة والإصلاح، لكنَّ المشكلة تكمُن في الاقتصار على هذه الجوانب ونزع الطابع النبويِّ منها، وإلباسها ثوباً ماديًّا مجرداً.

ولتعرية هذه الآراء المنحرفة وبيان بُطلانها، سنقوم بعرضها على الواقع التاريخيِّ وَفق ما يقتضيه المنهج العلميُّ، ثم ننظر هل يسعفهم ذلك في الوصول إلى رؤيتهم المادية أو لا؟.

هل كان النبيُّ ﷺ مصلحاً سياسيًّا؟

أولاً: إن اتصافَ رسول الله ﷺ بالحزم والثبات، وعدم تقديم أي تنازلات لَيَنفي قطعًا مثلَ هذا الادِّعاء؛ إذ إن من صفات السياسيين أن يدوروا في فَلَك مصالحهم الشخصية، وما يقتضيه ذلك من الاتِّصاف بالمرونة في التنازل عن بعض الثوابت أو شيء من المبادئ.

لكن الشأنَ مع رسول الله ﷺ على النقيض من ذلك، إذ نجد موقفه واضحاً من الأعرابيِّ الذي قَدِمَ إليه ليبايعه، على ما روى الحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه: عن ابن الخصاصية رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ لأبايعَه على الإسلام، فاشترط عليَّ: «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتصلِّي الخمسَ، وتصوم رمضان، وتؤدِّي

الزكاةَ، وتحجُّ البيت، وتجاهد في سبيل الله»، قال: قلتُ: يا رسول الله، أما اثنتان فلا أطيقُهما: أما الزكاة فما لي إلا عشر ذَوْدٍ هُنَّ رَحْلُ أهلي وحمولتهم، وأما الجهاد فيزعمون أنه من تولَّى فقد باء بغضب من الله؛ فأخاف إذا حَضَرَني قتالٌ كرهت الموت وخَشَعَت نفسي، قال: فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرَّكها، ثم قال: «لا صدقة ولا جهاد؟ فبم تدخل الجنة؟»، قال: ثم قلتُ: يا رسول الله، أبايعك. فبايعني عليهنَّ كلهنَّ.

كذلك يستوقفنا ما رواه الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما: عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أنهم خرجوا من مكَّة مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين، يقول الصحابي الجليل: وكان للكفَّار سِدرَةٌ يَعكِفون عندها، ويُعلِّقون بها أسلحتهم، يقال لها (ذات أنواط)، قال: فمررنا بسِدرَةٍ خضراءَ عظيمة، فقلنا: يا رسول الله، اجعَل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «قلتم -والذي نفسي بيده- كما قال قوم موسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾». (الأعراف: ١٣٨).

ويتضح من ذلك الموقف وغيره أن رسولَ الله ﷺ لا يرضى بالحلول الوسطية، أو الالتقاء في منتصف الطريق، وذلك نابعٌ من طبيعة الهدف الذي بُعث لأجله، إنه رسولٌ من

الله تعالى إلى الناس كافةً، ومهمَّته هي تبليغ الإسلام إلى الناس كما هو، فليس في يده أن يقبلَ مناهجَ مقترحة أو أفكاراً بديلة عن الشرع الإلهي، أو أن يبدِّل ويغير شيئًا مما أمره الله بتبليغه، وذلك أمرٌ في غاية الوضوح.

ثانياً: إن ميولَ الإنسان ومعالم شخصيته تتضح في وقت مبكِّر من حياته، وهذه الميولُ تتنامى لتكوِّن القالَبَ الذي يميِّز الفرد من غيره، ولنضرب مثلاً: لو أن رجلاً نشأ في بيت زعامة سياسية، وأبوه أحدُ أكبر الزعماء في زمانه، يقيناً سيتأثر الولدُ بهذا الجوِّ وستظهر فيه سمات النفس القيادية؛ فالإنسانُ ابن بيئته كما يقولون. وإذا نظرنا في سيرة الرسول ونشأته وجدنا أنه قد نشأ متواضعاً خفيضَ الجناح، راعياً للغنم لا الإبل، وانظر وتأمَّل هذا النبيَّ الكريم لما رأى رجلاً مقبلاً يرتعد رهبةً منه، قال له: «هوِّن عليك؛ فإني لستُ بمَلِكٍ، إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قُرَيشٍ كانت تأكُلُ القَدِيد».

وثمة أمرٌ آخر، وهو أن النبيَّ ﷺ في شبابه ما كان داعياً لنفسه، ولا اشتُهر عنه الشعر الذي يعد أهمَّ وسيلة إعلامية دعائية في ذلك العصر، ولو كان مريداً ابتداءً للحُكم، لهيَّأ لدعوته بالشعر، ولدعا الناس إلى نفسه.

ثالثاً: من المعلوم أن مكةَ وما حولها كانت وثنية وشديدة التعظيم للأصنام والاحتفاء بها، وكان يمكن للنبيِّ أن يتجنَّب الخوضَ في أمر الأوثان وذمِّها في بدء دعوته، ولكنه أبى إلا أن يختارَ أصعبَ الطرق وأكثرها وعورةً في حياته، لقد كان مبدأَ دعوته نبذُ الأصنام وتسفيهُها، وهذا ما حمل قومه على معاداته ومنابذته، ثم التعذيب له ولأصحابه وتشريدهم عن ديارهم، وكل ذلك يدلُّنا أن مقصده لم يكن له علاقةٌ بالتملُّك والسيطرة، إنما هو في إخراج الناس من عبادة العباد، إلى عبادة ربِّ العباد.

رابعاً: إن الملوك المعاصرين للنبيِّ ﷺ ممن هم ساسةُ الأمم، كانوا مدركين لطابع النبوَّة في شخصيَّته، ويتضح هذا من مواقفهم التي اتخذوها تجاه هذه الدعوة الجديدة، واعترافاتهم التي سجَّلوها في هذا الصدد، وأقرب مثالين على ذلك: موقفُ كلٍّ من النجاشِي وهِرَقْل، أما النجاشيُّ ملك الحبشة، فنعلم ما وصل إليه من حُسن سياسةٍ لشعبه وما أداه ذلك من تهافت الناس لسُكنى أرضه، ونعلم أيضاً اتصاله بالديانة المسيحية من خلال الأساقفة الذين كانوا بأرضه، وهو لم يفهم من دعوة النبيِّ ﷺ الرغبةَ في الزعامة السياسية، بل تجاوز ذلك إلى الإيمان بدعوة هذا النبي، أتراه يُذعن لرجل يطمح إلى الزعامة المجرَّدة، في وقت لم

يكن ذلك الرجلُ يملك من أمر نفسه ولا من أمر أصحابه شيئاً؟

إن زعيمَ الحبشة، قد استمع إلى كلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عن حقيقة الدين الذي جاء به هذا النبيُّ، فرأى أنوارَ النبوة تنبثق من سيرته العطرة، وعلم أنه من ذات المشكاة التي صدر عنها عيسىٰ عليه السلام، فقال: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرُج من مِشكاة واحدة.

كذلك الشأن مع هِرَقْلَ عظيم الروم، الذي استطلع شأنَ هذه الدعوة الجديدة في وقت مبكِّر، من خلال محاورة هامة دارت بينه وبين أبي سفيان زعيم قريش، فقد روى البخاري في "صحيحه": أن هرقل قال لأبي سفيان: إني سألتك عن نسبه فيكم؟ فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تُبعَث في نسب قومها. وسألتك: هل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قط قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان أحدٌ منكم قال هذا القولَ قبله قلت: رجلٌ يأتمُّ بقول قيل قبله. وسألتك: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقولَ ما قال؟ فزعمت أن لا، فقد أعرفُ أنه لم يكن ليَذَرَ الكذبَ على الناس ويكذبَ على الله عز وجل. وسألتك: هل كان من آبائه من مَلِك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه مَلِكٌ قلت: رجلٌ يطلب ملكَ آبائه. وسألتك: أشراف الناس يتَّبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت

أنَّ ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباعُ الرسل. وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتمَّ. وسألتك: هل يرتدُّ أحدٌ سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمانُ حين تخالط بشاشَتُه القلوبَ، لا يَسْخَطُه أحد. وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل. وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دُوَلاً يُدالُ عليكم المرة، وتُدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تُبتَلى ويكون لها العاقبة. وسألتك: بماذا يأمرُكم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا اللهَ عز وجل وحدَه ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصدق والصلاة والعَفاف، والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وهذه صفةُ نبي قد كنت أعلم أنه خارجٌ، ولكن لم أظنَّ أنه منكم.

خامساً: لو كان المُلك غايته، لكان في عَرض قريش عليه أن يجعلوه ملكاً، طريقاً مختصراً لهذه الغاية، لكنه أبى ذلك، وتمسك بمبدأ نبوَّته، وهذا ينفي صحَّة هذه الدعوى.

سادساً: إن في التاريخ نموذجًا لرجل ادعى النبوةَ ليجعلها سبباً في التملك والزعامة، هذا الرجل هو مُسَيلمة ابن ثُمامة المعروف بمسيلمة الكذَّاب، ونريد بتسليط الضوء على حياة هذا الرجل أن نبيِّن أن استغلالَ النبوة للوصول إلى

السلطة أمرٌ لا يمكن أن يخفى على عُقَلاء الناس، ولا أن يَلتبسَ شأنه على عامَّتهم، وهو ما سوف نوضِّحه في الفقرة التالية.

إننا عندما نقرأ سيرةَ هذا الرجل، فإننا نجد أن أصلَ حركته وادعائه للنبوَّة إنما كان مبنيًّا على حبِّ السلطة والتملُّك، ونلمس هذا مبكراً عندما جاء إلى النبيِّ ﷺ قبل أن يدَّعي النبوة، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قَدِمَ مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعلَ لي محمدٌ الأمرَ من بعده تبعته. وحين ادَّعى النبوةَ كتب إلى النبي ﷺ -كما في مسند أبي عوانة-: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعدُ، فإني أُشركتُ في الأمر معك، وإن لنا نصفَ الأرض ولقريش نصفَ الأرض، ولكن قريشاً يعتدون.

ولما كان مسيلمة طامعاً في الحكم، استغلَّ الروح العصبيَّةَ في قومه، فقام بإذكائها حتى يُكثرَ من أتباعه، فلننظُر إليه عندما خطب الناس قائلاً: أريد أن تخبروني بماذا صارت قريشٌ أحقَّ بالنبوة والإمامة منكم؟ والله ما هم بأكثرَ منكم ولا أنجد، وإن بلادكم لأوسعُ من بلادهم، وأموالكم أكثرُ من أموالهم. وكان كذبه من الجلاء بحيث قال له عمرو بن العاص رضي الله عنه قبل إسلامه: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك

تكذب. وقال أحد أتباع مسيلمة -وهو طلحة النمري- له: أشهد أنك كاذب وأن محمداً صادق، ولكن كذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر!

فها نحن نرى مسيلمة قد اتضح قصدُه من مواقفه وكلامه، فأين هذا من رسول الله ﷺ الذي شهد له معاصروه بنبوَّته ورسالته؟، إن ذلك مما لا يخفى على أي منصفٍ عاقل.

سابعاً: تطالعنا كتب السِّيَر بحادثة فريدة تكشف بُطلانَ ما زعمه المستشرقون عن طبيعة الدعوة الإسلامية، وذلك حينما كَسَفَت الشمسُ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكَسَفَت لموت إبراهيم، فأجابهم رسول الله ﷺ: «إن الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته». (متفق عليه).

يقول الشيخ أبو الحسن النَّدْوي رحمه الله معلقاً على هذه الحادثة: لو كان مكانَ رسول الله ﷺ في هذه المناسبة الحزينة أيُّ داعٍ من الدعاة، أو زعيم من الزعماء، أو قائد دعوة أو حركة أو جماعة، لسكت على هذا الكلام -إذا لم يوفَّق إلى نفيه- ظنًّا منه أن ذلك الكلامَ إنما هو في صالح دعوته وحركته، وأنه لم يتقصَّد لفتهم إلى هذا الحَدَث، بل

إن الناس بأنفسهم فكَّروا فيه وظنوه. إذاً فهو ليس بمكلَّف بنفي هذا التفكير، وذلك هو الفرق بعينه بين النبيِّ وغيره، فإن الأحداث التي يستغلُّها أصحاب التفكير السياسي - وإن كانت حوادثَ طبيعية - يرى الأنبياء الكرام عليهم السلام أن استغلالَها على حساب الدين حرام... ولا أدري أن أحداً سوى محمد ﷺ قد صدق في هذا الامتحان من مؤسسي الجماعات وزعماء السياسة. (انتهى كلام النَّدْوي بتصرُّف).

فانظر أيها القارئ الكريم كيف حَرَصَ النبي ﷺ على عدم ربط الناس بشخصه أو تطويع هذه الحادثة لمصلحته، بل انظر كيف قام بإرساخ البعد العقائدي في مثل هذه الحوادث الكونية، مما ينفي قطعاً كونه مجردَ زعيم سياسي.

ثامناً: كل الشعوب ترى من حقِّ قائدها أن يتملَّك الأراضيَ، ويتمتَّعَ بالمال، ويتقلَّبَ في النعيم، فكان من الطبيعي أن يُشتهَر عن النبي ﷺ الثراء، وأن يظهر ذلك في بيته ومَلبَسه ومسكنه، لكننا نُفاجأ بتواضع حياة النبي ﷺ ومدى زهده، حتى أثَّر ذلك في أصحابه رضوان الله عليهم، وقد رأى عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- أثرَ الحصير في جَنب النبي ﷺ فبكى، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يُبكيك؟». فقال: يا رسول الله، إن كِسرى وقَيصر فيما هما فيه، وأنت رسولُ الله! فقال له: «أما ترضى أن تكونَ لهم الدنيا ولنا

الآخرة؟» (رواه البخاري). فلماذا نراه يفضِّل شَظَفَ العيش وقسوةَ الحياة على رغدها لو لم يكن متطلِّعاً حقًّا وصدقًا إلى ما عند الله من ثوابه ونعيمه؟.

تاسعاً: جاءت وفودُ الأنصار عند العَقَبَة لمبايعة النبيِّ ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى الدفاع عنه حتى الموت، فما المقابل الذي بشَّر به النبي ﷺ أصحابَ هذه البيعة؟ إنه لم يكن مالاً يبذله لهم، أو وعوداً على مناصب قياديَّة، أو أمانيَّ في رقاع من الأرض، لكنه سما بهم عن كلِّ حُطام الدنيا وبشَّرهم بالجنة، واللافت للنظر أنهم لم يُطالبوا بشيء من هذه الأموال، ولكن تدافعوا للبيعة وهم يعلمون أنهم قد يدفعون أرواحهم ثمناً لها، ولو كان هؤلاء القومُ لم يتيقَّنوا صدقَ دعوته لما وافقوا على مثل تلك البيعة، فأيُّ شيء يغريهم بالموت في مقابلٍ غير معلوم؟ لا شك أن هذا يعدُّ دليلاً على صدقه.

هل كان النبيُّ ﷺ مصلحاً اجتماعيًّا؟

لا شك أن النبيَّ ﷺ بُعث ليتمِّم مكارم الأخلاق، ويضيفَ إلى الإنسانية الكثيرَ من المعاني السامية، والمثُل العليا، وإن البعدَ الأخلاقي في مبادئه واضحٌ بلا مِراء، لكن أن يحلوَ للبعض أن يفسِّر دعوته بانتحال النبوَّة، والاحتيال

باسم الدين، كي يسهم في انتشال قومه من الانحلال الخلقي، ومحاربة الهيمنة القبلية، فهذا ما لا يقوله عاقلٌ منصف، عرف التاريخ، أو اطَّلع على جُزء من حياة النبي ﷺ.

والفقرات الآتية تبيِّن تهافت تلك الفِرية، وأنها لا تعدو أن تكونَ أفكاراً نابعة من نفوس مُغرضة:

أولاً: إن الحياة الاجتماعية تشمل عدة جوانب: الجانب المنظِّم لعلاقة الإنسان بنفسه، والجانب المنظِّم لعلاقته بمن سواه، ولو كان النبيُّ ﷺ مجرَّد مصلحٍ اجتماعي لكان تركيزه الأعظم على هذين الجانبين، في حين نرى في الواقع أن العمادَ الحقيقيَّ الذي قامت عليه دعوته هو جانبٌ أعمق من السابقَين، إنه الجانب العَقيدي المتمثل في علاقة الإنسان بخالقه ومولاه.

أجل لقد تجلَّت الدعوة الإسلامية في أكثر مظاهرها في موضوع العبادة وتوحيد الله جلّ وعلا، وهذا الجانب ليس له علاقةٌ مباشرة بالإصلاح الاجتماعي، فما بالُ النبي ﷺ يأمر الناسَ بعبادة الله وحدَه؟ وما علاقةُ الأخلاق بتحمُّل أعباء تكاليف تشغل بمجملها حياة الإنسان اليومية؟.

وهنا قد يقول المستشرقون: إن لهذه التكاليف أثراً في

ترويض الروح على الفضيلة، لكنَّ هذا لا يتماشى مع النهي عن عبادة الأصنام، ولا مع وجوب البراءة من الكُفر والكافرين، ومن هنا نقطع بتهافت مثل هذا الرأي.

ثانياً: إن هذا التفسيرَ النظري ليقف عاجزاً عن تفسير بكاء الصحابة العائدين من الغزوات إذ لم تُكتب لهم الشهادة، ويقف عاجزاً كذلك عن تفسير حرصهم على قتال ذويهم وبني جلدتهم، حتى ترى الوالد يقتل ولدَه، والأخ يقتل أخاه، كلُّ ذلك في سبيل هذه الدعوة الجديدة، كما أن هذه النظريةَ لتَعْجِز عن تفسير رضا المهاجرين أن يتركوا ديارَهم وأموالهم، ويختاروا مفارقةَ الأوطان، إلى مصيرٍ غير معلوم، لو لم يكونوا متيقنين ومقتنعين بنبوته ﷺ.

ثالثاً: إن المتطلِّع إلى فحوى الدين الإسلامي يجد فيه الكثيرَ من التشريعات المختلفة والأنظمة المحكمة الدقيقة، وبخاصة ما يتعلَّق بجوانب القضاء والإفتاء والحدود. والشأن في المناهج الأرضية القويَّة أن تجتمعَ عقولٌ كثيرة لكي تخرجَ بنظام متكامل كهذا النموذج، لا أن يكونَ منبعَ هذا الدستور رجلٌ أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ومثل هذا التصوُّر يقتضي أن تكونَ هذه الشريعةُ من مصدر سماويٍّ، لا اجتهادات بشرية عرضة للخطأ والصواب.

ونقول أخيراً: إن الإصلاح الاجتماعيَّ هو قاسم مشترك بين الديانات السماوية والدعوات الأرضية، ومثل ذلك ما يتعلق بالدعوات السياسية، فالكلُّ يسعى إلى تحقيق الاستقرار وتنظيم الحياة، ولكننا حينما نتكلَّم على دين مصدرُه الخالق الحكيم فمن البديهي أن يكونَ أوسعَ نطاقاً وأكمل نظاماً وأشمل منهجاً، فليس هو بالمقتصر على جانب من جوانب الحياة أو نظام من نظمها.

وإذا كان الأمر كذلك، فمن السذاجة أن يوصفَ الدور الذي قام به خاتمُ الأنبياء والمرسلين بأنه مجرَّد عمليات إصلاحية في المجتمع العربي، أو محاولات لتصدُّر الزعامة والسيطرة على مقاليد الحكم في جزيرة العرب، فلا مناصَ من الاعتراف بالحقِّ الواضح، وهو ما عبَّر عنه المستشرق (تريتون) بقوله: «إذا صحَّ في العقول أن التفسيرَ الماديَّ يمكن أن يكون صالحاً في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها، فإن هذا التفسيرَ الماديَّ يفشل فشلاً ذريعاً حين يرغب في أن يعلِّلَ وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم، وقيام حضارتهم، واتساع رُقعتهم وثبات أقدامهم، فلم يبقَ أمام المؤرِّخين إلا أن ينظُروا في العلَّة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة، فيرى أنها تقعُ في هذا الشيء الجديد: ألا وهو الإسلام».



تلك هي شهادةُ شاهد من أهلها، فأي حجة بعد ذلك تنفع، إذا كان ما سبق لا يُقنع !!.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

زهد النبي ﷺ:

الزهد في حقيقته هو الإعراضُ عن الشيء المتاح، ولا يُطلَق هذا الوصفُ إلا على من تيسَّر له أمرٌ من الأمور فأعرَضَ عنه وتركه، وأما من لم يتيسَّر له ذلك فلا يُقال إنه زَهِدَ فيه، ولذلك قال كثيرٌ من السلف: إن عمرَ بن عبد العزيز كان أزهدَ من أُوَيسٍ القَرَنيِّ رحمة الله على الجميع، وقال مالك بن دينار عن نفسه: الناسُ يقولون مالكٌ زاهد، إنما الزاهدُ عمر بن عبد العزيز، فإن الدنيا كانت بين يديه فلم يلتفت إليها.

وقد كان نبينا ﷺ أزهدَ الناس في الدنيا، وأقلَّهم رغبة فيها، مكتفياً منها بالبلاغ، راضياً فيها بحياة الشظَف، ممتثلاً قولَ ربه عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ (طه: ١٣١)، مع أن الدنيا كانت بين يديه، ومع أنه أكرم الخلق على الله، ولو شاء لصيَّر له الجبال ذهباً ولأجرىٰ له الأنهار فضة.



وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره، عن خيثمة، أنه قيل للنبي ﷺ: إن شئت أن نعطيكَ خزائنَ الأرض ومفاتيحها ما لم نُعطه نبيًّا قبلك، ولا نعطي أحداً من بعدك، ولا يَنقص ذلك مما لك عند الله، فقال: اجمعوها لي في الآخرة، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠﴾. (الفرقان: ١٠)، وخُيِّر ﷺ بين أن يكون ملِكاً نبيًّا أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكونَ عبداً رسولاً.

وأما حياتُه ﷺ ومعيشته فعجبٌ من العجب، يقول أبو ذرٍّ رضي الله عنه: كنت أمشي مع النبيِّ ﷺ في حَرَّة المدينة، فاستقبلَنا أُحُدٌ، فقال: «يا أبا ذر»، قلتُ: لبَّيكَ يا رسول الله، قال: «ما يسرُّني أن عندي مثلَ أُحُدٍ هذا ذهباً، تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئاً أرصده لدَين، إلا أن أقولَ به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه»، ثم مشى فقال: «إن الأكثرين هم الأقلُّون يومَ القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، وقليل ما هم». (رواه البخاري). وكان من دعائه ﷺ: «اللهم اجعل رزقَ آل محمد قُوتاً - وفي رواية - كَفافاً»، ودخل عليه عمر رضي الله عنه يوماً، فإذا هو مُضطجع على رمال وحصيرٍ ليس بينه وبينه فراش، وقد أثَّر

في جنبه، قال عمر: فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يردُّ البصر، فقلت: ادعُ الله فليوسِّع على أمتك، فإن فارس والروم وسَّع عليهم وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فقال: «أوَفي شكٍّ أنت يابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا». وكان يقول: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة، ثم راح وتركها». وكان فراشه ﷺ من الجلد وحَشوُه من الليف.

وأما طعامه فقد كان يمرُّ عليه الهلالُ ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلَّة، وما توقد في بيوت رسول الله ﷺ نار، وإنما هما الأسودان التمر والماء، وربما ظلَّ يومه يتلوَّى من شدة الجوع، وما يجد من الدَّقَل -وهو رديء التمر- ما يملأ به بطنه، وما شبع ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز بُرٍّ حتى قُبض، وكان أكثر خبزه من الشعير، وما أُثر عنه أنه أكل خبزاً مرقَّقا أبدًا، ولم يأكل ﷺ على خِوان -وهو ما يوضع عليه الطعام- حتى مات، بل إن خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه ذكر عن النبيِّ ﷺ أنه لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبزٍ ولحم إلا حين يأتيه الضيوف.

ولم يكن حاله في لباسه بأكثرَ مما سبق، فقد شهد له أصحابه رضي الله عنهم بزهده وعدم تكلُّفه في لباسه، وهو القادر على أن يتَّخذ من الثياب أغلاها، يقول أحد الصحابة واصفاً

لباسَه: أتيت رسول الله ﷺ أكلِّمه في شيء، فإذا هو قاعدٌ وعليه إزارُ قطن له غليظ. ودخل أبو بردة رضي الله عنه إلى عائشةَ أمِّ المؤمنين فأخرجت كِساء ملبَّداً وإزاراً غليظاً، ثم قالت: قُبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظُ الحاشية.

وإن المرء ليقف متعجِّبًا أمام ما يذكره علماء السِّيَر من وصفٍ لبيوت النبي ﷺ وقلة متاعها، فلم يكن فيها شيءٌ يملأ العينَ من الأثاث ونحوه، وما ذلك إلا زهداً في الدنيا وإعراضاً عنها.

ولم يترك ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أَمَةً ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضاً جعلها صدقة، قالت عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ وما في رفِّي من شيء يأكله ذو كَبِد إلا شطرَ شعير في رفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طال عليَّ». ومات عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونةٌ عند يهوديٍّ مقابل شيءٍ من الشعير.

إن ما ذكرناه في هذه العُجالة هو شيء يسير من أخبار إمام الزاهدين وسيد العابدين ﷺ، وغيرها كثيرٌ لم يذكر، وستظلُّ هذه الأخبار شواهدَ صدق على نبوَّته وزهده وإيثاره

ما عند الله عز وجل، وإن فيها دعوةً للأمة وللأجيال المؤمنة للزهد في الدنيا والحذر من فتنتها، فلو كانت الدنيا دليلَ محبة الله لصاحبها، لفاز بها خيرُ الخلق وأكرمهم على الله.







فِهرسُ المَقالاتِ



المقالة الثالثة:





المقالة الرابعة:







هذا الكتاب

بين دفَّتي هذه المجموعة أربعُ مقالات نافعة، حَظِيَت برضا أعضاء لجان التحكيم بمسابقتنا، وهي على وَجازتها أشبهُ بالعسَل الخالص الذي هو شفاءٌ ولذَّةٌ للشاربين، وقد كُتبت بأسلوبٍ علميٍّ واضح، جمع بين الدقَّة وحُسن العرض، وامتازت بمعالجة قضايا فكرية وتربوية مهمَّة؛ لا مَندوحةَ لمسلم عن عِلمها، ويحسُن أن يطَّلعَ عليها غيرُ المسلمين، ليقفوا على ما امتازَت به شريعةُ الإسلام من شُمولٍ وسَماحةٍ، وعدلٍ وحِكمة.

 جائزة الألوكة

انطلاقًا من حرص شبكة الألوكة على إذكاء روح التنافس الهادف بين الكتَّاب والمثقفين والمبدعين، وانسجامًا مع الجهود التي تبذلها المؤسَّسات الثقافية المختلفة، أُنشِئت جائزة الألوكة للإبداع في مطلع عام ١٤٢٧هـ، متضمِّنةً عدداً من المسابقات العلمية والثقافية والأدبية المتميزة، التي احتلَّت مكانة مرموقة بين كبريات المسابقات الثقافية العربية.

- جائزة الألوكة للإبداع إسهامٌ في صناعة الثقافة الإلكترونية التفاعلية الهادفة.
- جائزة الألوكة للإبداع تحفيزٌ لمواهب المبدعين، وخطوة جادَّة في تطوير مسيرتنا المعرفية.

المسابقة الأولى :

مسابقة انصر نبيك .. وكن داعياً

أطلقتها شبكة الألوكة لنصرة نبيِّ الأمَّة محمد ﷺ ، في إثر محاولات بعض الصُّحُف الغربية الإساءة إلى جَنابه الشريف، فكانت خيرَ حافز ومشجِّع على الذبِّ عن مقام النبوَّة السامي، بمنهج علميٍّ مقنع، وأسلوب أدبيٍّ ممتع.

وتألفت المسابقة من أربعة فروع، هي: البحث العلمي، والقصة القصيرة، والمقالة الصحفية، ومقالات الناشئة.

وبلغت جوائزها: تسعين ألف ريال.





